

التنشئة الأسرية وتأثيرات الفضاء الافتراضي دراسة ميدانية لعينة من طلبة المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان

Family socialization and the requirements of virtual space

A field study for university center students Ahmed Zabana Relizane

جامعة وهران أحمد بن أحمد 2 . الجزائر	علم الاجتماع	حمداوي طيب HAMDAOUI Tayeb* tayebhamd7@gmail.com
جامعة وهران أحمد بن أحمد 2 . الجزائر	علم الاجتماع	بومحراث بلخير Boumehrat Belkheir belkheirsocio@yahoo.fr
DOI: 10.46315/1714-011-003-039.		

الإرسال: 18/ 02/ 2021 القبول: 01/ 06/ 2021 النشر: 16/ 06/ 2022

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على واقع التنشئة الأسرية في ظل الانتشار المتزايد لوسائل التواصل الاجتماعي خاصة الفايسبوك، اليوتيوب، مما يجعلهما أدوات تشجع على العنف والهشاشة، ما ساهم في بروز العنف بكل أشكاله، وشملت هذه الدراسة الميدانية مجتمع بحث محدد من طلبة جامعة غليزان، حيث وظفت تقنية المقابلة، كمقاربة كيفية للوقوف على تصورات ومواقف الطلبة اتجاه استعمالهم لمختلف أشكال التواصل الاجتماعي، كما خلصت إلى فهم طبيعة التأثيرات التي أحدثتها الشبكات التواصلية الحديثة على الطلبة الجامعيين، من خلال التحولات التي مست أسرهم على مستوى البنيات، الذهنيات والعلائق المجتمعية .

كلمات مفتاحية: التنشئة الأسرية؛ الفضاء الجامعي؛ الفضاء الافتراضي؛ التواصل الاجتماعي؛ العنف.

Abstract:

This study aims at examining the reality of family socialisation in the light of increasing prevalence of social media and its relationship to violence that can expose to a range of social and family problems which causes the emergence of violence the study included Relizane through the use of the interview tool as an approach to show students conception and attitudes visa a visa the use of social media , to understand the impact of social media network on students of university Relizane aspect and through the changes that touched their family's mentality and relationships .

Keywords :Family socialization, Virtual Space, University Space ,Social Communication, Violence .

1- مقدمة :

عرف العالم في السنوات الاخيرة تطورا تكنولوجيا رقميا، نجم عنه تغيرات جذرية في مختلف المجالات، منها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مست هذه التغيرات الأسرة التي تعد النواة الصلبة، التي يتلقى فيها الفرد تنشئته الاجتماعية باعتبارها العملية، التي من خلالها تكون شخصية الفرد، من خلال تفاعله الدائم مع محيطه الاجتماعي، أين أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي تسيطر على الواقع اليومي، مما أفرز تغيرات جوهرية على بنية وطبيعة وأدوار الأسرة، الشيء الذي يتيح لنا إيجاد رابط علائقي بين الأسرة والطلبة الجامعيين، الذين سنجعل منهم عينة البحث في هذا المقال، مما يمهد لنا طرح التساؤل التالي :

ما طبيعة العلاقة بين وسائل التواصل الاجتماعي وعملية التنشئة الأسرية ؟ وكيف تؤثر هذه الثنائية على الواقع اليومي للطلبة بالمركز الجامعي غليزان ؟.

إن موضوع تكنولوجيات الاتصال وشبكات التواصل الاجتماعي، بدأت تأخذ حيزا كبيرا ضمن مختلف الدراسات الاجتماعية والنفسية، مما استوجب على الباحثين والمتخصصين تسليط الضوء على هذه الظاهرة، بالبحث عن المخارج النظرية والمعرفية لهذه الظاهرة. تناولنا لهذا الموضوع يكمن في الأساس، بتقديم محاولة فهمية لإبراز معالم محلية يكون وازعها عملية التواصل الاجتماعي اليومي داخل فضاء المركز الجامعي أحمد زبانة بغليزان، الذي لمسنا من خلاله خصوصية الأسرة بمنطقة غليزان من جهة، والانتشار والاستخدام الواسع للعلاقات الافتراضية من طرف مستخدمي الفايسبوك، اليوتوب أو التويترو الانستغرام من جهة أخرى، بإعتبار موضوع الدراسة يلامس الواقع الاجتماعي اليومي، ويهدف إلى البحث عن الصلة بين ما هو افتراضي وواقعي في عملية التنشئة الأسرية .

2- الإطار المنهجي للدراسة :

هذا ما يجعلنا نفترض تغير اجتماعي يقوم على استبدال الواقع الاجتماعي بالمجال الافتراضي، هذا التحول شكل لنا رغبة في جعل الميدان هو البوصلة، التي من خلالها نقارب الموضوع محل الدراسة، بالاعتماد على المنهج الوصفي، الذي يهتم بدراسة واقع الظاهرة وتحليلها وتفسيرها من أجل الوصول إلى نتائج تعكس الواقع، وتقنية المقابلة التي نراها المناسبة لانشغالات الموضوع والتي خصصنا فيها 06 طلبة جامعيين، منهم 03 ذكور و03 إناث .

3- واقع الأسر الجزائرية بين التقليد والمعاصرة في منطقة غليزان :

الأسرة من أهم الجماعات الإنسانية تأثيرا في الحياة اليومية للأفراد والجماعات وهي الوحدة البنائية الأساسية التي تنشأ من خلالها مختلف المجتمعات وهي التي تقوم بالدور الرئيسي في بناء صرح المجتمع وتنظيم سلوك الأفراد وفق الأعراف والتقاليد الاجتماعية لكل وحدة اجتماعية، كما تعد العلاقات الأسرية والتفاعل الأسري اليومي هو المحدد الرئيسي لعملية التنشئة الأسرية، والتي تكون فيها العلاقات الاجتماعية في تفاعل مستمر، بين الأولياء وأبنائهم وبين الأخوة والأخوات فيما بينهم، مما غير التركيب الأسري تغيرا بارزا من نظام العائلة الممتدة إلى نظام الأسرة النووية، صاحبته مجموعة من الأنماط المعيشية والمتمثلة في تغير لأسلوب الحياة من خلال إنتاج ثقافة أسرية خاصة بالمجتمعات الحضرية، فقدت من خلالها الكثير من الوظائف التي كانت تقوم بها في الماضي كالسلطة الأبوية ونظام العائلة الممتدة وما يصاحبه من تداعيات على العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة، مما أدى إلى انتقال بارز لمجموعة كبيرة من الوظائف إلى مؤسسات وتنظيمات أخرى تركت بصمتها على الصعيدين الاجتماعي والثقافي، ومن أهم خصائص الأسرة التقليدية في عملية التنشئة الأسرية، الحياة البسيطة التي ترافق العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة الجزائرية، والمتمثلة في الاحترام المتبادل بين أفراد الأسرة والتماسك والتكامل في الأدوار والحشمة وتعزيز وتدعيم أواصر القيم العائلية والمجتمعية في آن واحد، فكانت الأسرة في المجتمع التقليدي بنائيا تتكون من أسرتين أو أكثر وتضم أكثر من جيلين والمتمثلة في الأجداد والآباء والأولاد أو ما يطلق عليها بالأسرة الممتدة، يقيمون في مجال سكني مشترك، وعادة ما يميز هذا النظام الأسري هو السلطة الأبوية، والتي تكون في غالب الأحيان تمتاز بنوع من التعصب والتسلط والعنف، ونظير مراعاة الأسرة للمعايير والأنماط السائدة في المجتمع المحلي فإنها تتلقى بدورها نوعا من الهوية التي يمنحها لها ذلك المجتمع على أساس تلك الهوية أو الذاتية تستطيع الأسرة أن تحقق لها مكانا معيناً داخل النسق العام للمجتمع المحلي كما يمنحها شعورا بالتضامن مما يحول دون تعرضها للتفكك، (الضبع، 2002، صفحة 100)، وفي القابلة رقم 01 من جنس (أنثى، 26 سنة، جامعية)، أكدت على أن العلاقات مع الوالدين متوترة خاصة مع الأب، الذي هو دوما متعصب ويفتقد إلى لغة الحوار، ويفرض باستمرار رأيه على كامل أفراد الأسرة، أما الأم فهي أقل تعصبا وتميل دائما إلى التهدئة، وهي من تمتص كل همومنا وانشغالاتنا، مما يبرز التمييز في نمط التنشئة الأسرية للذكر مقابل الأنثى، من خلال الفصل بين نوعي الجنس الواحد داخل الحيز المكاني الواحد، وتكليف الأنثى بمختلف المهام المنزلية الموكلة للأنثى بالإضافة إلى مهام أخرى من المفروض أن توكل للذكر كمرافقة الوالد والأم إلى المستشفى وعملية شراء الدواء على العكس تماما مما

كانت عليه التنشئة الأسرية التقليدية التي ترغب الفتاة على القيام بالأعمال المنزلية فقط دون الخروج إلى الشارع الذي كان يعتبر حكرا على الذكر سواء كان الأب أم الأبناء، بالرغم من المستوى التعليمي الجامعي الذي توصلت إليه الفتاة مقارنة بالأخ الذكر فأن هذا لا يشفع لها داخل الأسرة الغيليزانية التي تتبنى مبدأ التهميش والإقصاء والتعنيف، إن الأسرة تمثل نسقا اجتماعيا يحمل بين أنماطه المكونة له معايير متصارعة لا تقبل التعايش معا، (عمر،، 2000، صفحة 54).

لذا يمكن تصنيف الأسرة الغيليزانية ضمن النظامين التقليدي والحديث معا، هذا التناقض الثقافي يجد الآباء صعوبات في عملية التنشئة الاجتماعية، بالمحافظة على القيم التقليدية المعبرة عن هوية الآباء والأجداد، وفي نفس الوقت محاولة استيعاب القيم الحديثة التي فرضتها عملية التغير الاجتماعي، خاصة التي أحدثتها وسائل التواصل الاجتماعي.

4- خصائص الأسرة في منطقة غليزان :

إن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية، مهدت بشكل كبير إلى تحول في البناء الأسري وتقليص حجم الأسرة، حتى برزت الأسرة النووية والتي عوضت الأسرة الممتدة في المجتمعات التقليدية، حتى صارت هذه التغيرات جوهرية في بنائها مست الحجم، والعمل والتربية للأولاد، فصارت الأسرة تتكون من الزوجين والأبناء، والعمل لا يقتصر فقط على الرجل بل أصبحت المرأة معنية بسوق العمل وتربية الأبناء انتقلت إلى المربية أو الحاضنة، هذا ما أكدته أحد أفراد العينة في المقابلة رقم 2 من جنس (ذكر، 27 سنة، جامعي)، على أن العلاقات جيدة مع الوالدين، من حيث الحوار سواء مع الأب أو الأم، وهناك شبه حرية تامة داخل الأسرة، مما أدى بتغير لنوع العلاقات الأسرية، سواء من حيث الجانب الاقتصادي، فالزوجين معنيان بالإنفاق وبسلطة القرار داخل المنزل، وأصبحت نوع من المساواة بين الرجل والمرأة في كافة مناحي الحياة اليومية، إلا أن عملية التحضر للأسرة النووية لازمتها مجموعة من التناقضات بشكل بارز من بينها المواقف المزدوجة للتوافق بين النظام القيمي الموروث من الأسرة الممتدة والنظام القيمي الذي يعزز الثقافة الحضرية مما يخلق نوعا من الاختلالات العلائقية بين أفراد الأسرة الواحدة، بين الزوج والزوجة وبين الأولياء وأبنائهم، بالإضافة إلى مؤشر استخدام وسائل التواصل الاجتماعي التي أصبحت تميز المجتمعات الحديثة وحتى التقليدية، الأمر الذي أثر على العلاقات الاجتماعية اليومية بين أفراد الأسرة، وكونت مجتمعا افتراضيا موازيا للمجتمعات الحقيقية، له قواعده وعلاقاته وخصوصياته الاجتماعية والثقافية، كل هذا من وجهة نظر الطالب الجامعي المبحوث الذي يقر بأن الأسرة الغيليزانية الحديثة كغيرها من المناطق الحضرية تأثرت بنمط التنشئة الأسرية الحديثة خاصة من

الناحية الاقتصادية والاجتماعية من خلال خروج المرأة للعمل رفقة زوجها الرجل وكذا الانفتاح على العوالم الخارجية ضمن مختلف الميادين لا سيما الأنظمة التكنولوجية والرقمية التي أحدثت تغيرات جذرية في نمط التنشئة الأسرية والعلاقات الاجتماعية داخل الأسرة الغيليزانية، خاصة وأنها منطقة شبه حضرية أصبحت تحتوي على مركز جامعي مكن الشباب المحلي لهذه المنطقة والمناطق المجاورة لها من الاستفادة من التعليم الجامعي والحياسة على مختلف الشهادات العليا، والتأقلم مع نمط الحياة الجامعية للشباب الجامعي خاصة الذكور، نظرا لاتساع علاقاتهم الاجتماعية وتعدد أدوارهم الاجتماعية، كطالب جامعي داخل الجامعة، وكفاعل خارجها من خلال ممارسة مهام أخرى تمكنه من فرض وجوده داخل الأسرة والمجتمع وتوفير مستلزماته الأساسية بنفسه دون الاتكال على النفقات الأسرية، من خلال ذلك نجد أن معاملة الابن الذكر ودوره داخل الأسرة لا يختلف عن دور الأب ومكانته الاجتماعية، إن التنشئة الاجتماعية تقوم بوظيفة استدراك النقص الحاصل في شخصية الفرد وإكمال ما عجزت الأسرة أو المدرسة عن تحقيقه كامتداد الفرد بثقافة اجتماعية حول العديد من القضايا الاجتماعية المطروحة . (عامر، 2011، صفحة 220)

5- ثنائية التواصل والانفصال عبر الفضاء الافتراضي :

أصبح الفايسبوك من أكثر الأدوات التواصلية انتشارا بين الشباب بصفة عامة والطلبة الجامعيين بصفة خاصة داخل الجامعات وخارجها بحجة التواصل مع الآخر والتفاعل الاجتماعي، سواء ضمن مجال الأسرة أو الصداقة وغيرها، إلا أن هذا التفاعل الافتراضي قد يشوبه الكثير من الغموض والأخطار التي يجهلها المستعملون لأدوات التواصل الاجتماعي ومن يشرفون على تربيتهم وتكوينهم، حيث يعمل التواصل الافتراضي المستمر للطلاب الجامعي مع غيره على تقليص العلاقات الاجتماعية والأسرية الحقيقية، لصالح العلاقات الافتراضية، مما يطرح عدة تساؤلات من بينها صعوبة تحديد مفهوم هذا التواصل، هل يعمل على التواصل أم على الانفصال بين مستعمليه من الطلبة الجامعيين ومحيطهم الاجتماعي والأسري، من خلال الأوقات الطويلة التي يقضونها في المشاهدة والدرشة في مواضيع لا تتلاءم مع متطلبات تنشئتهم الأسرية والمخالفة لقيمهم الاجتماعية والدينية خاصة مع أشخاص غالبيتهم مجهولون الهوية الحقيقية، مما قد يعرضهم إلى الانسياق الكلي وراء الأوهام والابتعاد عن الواقع الاجتماعي والنفور منه، مما يعرضهم إلى ضغوطات اجتماعية ونفسية وأسرية يصعب التعامل معها، تؤدي إلى استعمال العنف والعنف المضاد كوسيلة للتعبير عن الانفصال الدائم عن الحياة الاجتماعية الحقيقية داخل

الأُسرة، والخضوع لعملية الاقتناع بهذا الفضاء الافتراضي كبديل حقيقي للواقع الاجتماعي من خلال تقنيات الإقناع والتأثير والنمذجة المستمدة من نظرية التعلم الاجتماعي التي هي بمثابة الخلفية النظرية لها، وتقنية النموذج تستند على افتراض مفاده أن الإنسان قادر على التعلم عن طريق ملاحظة سلوك الآخرين والمعروض عليه في شكل نماذج معينة ويعطي الفرد فرصة ملاحظة هذه النماذج ويطلب منه أداء نفس السلوك النموذجي الذي لاحظته، أي يطلب منه إعادة إنتاج نفس السلوك الاجتماعي، (مصباح، 2005، صفحة 129).

6- العوالم الافتراضية بين الفضاء المستحدث والممارسة الواقعية :

إن العوالم الافتراضية هي بيئة محاكاة تفاعلية يستطيع مستعملها الوصول خلق علاقات اجتماعية افتراضية مع مختلف الفئات الاجتماعية، مما توفره من حرية في التعليق والانتقاء للأصدقاء، بالرغم من التنوع الثقافي والفكري والاقتصادي، تنسج علاقات جديدة بعيدة عن التفاعلات التقليدية المبنية على الحدود الجغرافية أو التقارب والجيرة، ما أكدته أحد أفراد العينة في المقابلة رقم 3، من جنس (أنثى، 25 سنة، جامعية)، على أن النشاطات الاجتماعية والأسرية في مختلف المناسبات سواء حفلات أو زيارات أو خرجات عائلية تراجعت منذ بدأت استعمال وسيلة الفايبريوك من أجل التواصل الافتراضي، مما جعلني أحس بنوع من العزلة الاجتماعية والانطواء على النفس، واختلال واضح في الجانب العلائقي خاصة مع الوالدين، من خلال التأثيرات السلبية، كترتيب الواقع الاجتماعي الحقيقي، نظرا للفارق الكبير والبارز في الميول والرغبات بين الآباء والأبناء خاصة الإناث مع الأمهات أو الأبناء مع الآباء، باعتبار أن الأبناء ينشغلون أكثر في مواضيع شبابية كالغناء والرقص والترفيه والمودة والرياضة وغيرها، مما يجعلهم يتعدون وينفصلون عن التواصل مع الأولياء داخل المنزل وخارجه، والبحث الدائم عن توفير أجواء مريحة خاصة داخل الفضاء الجامعي الذي تتناسب فيه كل الرغبات والهوايات والتصورات بين الطلبة الجامعيين . "

بل تقوم على فضاء افتراضي حر تسوده التفاعلية والتشاركية والتواصل عن بعد ولفترات زمنية طويلة جدا، لذا هي منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية تنطوي على نسق متكامل من عمليات التكامل المعرفي وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها " (كافي، 2015، صفحة 41) . إلا أن هذا الفضاء لم يعد مركزا لتبادل الأفكار والرؤى بين الطلبة الجامعيين للمركز الجامعي غليزان فحسب بل بالعكس من ذلك أصبح يجلب العديد من الطلبة إلى للانغماس وراء مواقع غير مرغوب فيها في استخدامها ها أخلاقيا واجتماعيا وأوصلت بمستعملها إلى درجة الإدمان، كما أكدته أحد

أفراد العينة في المقابلة رقم 4 من جنس (ذكر، 26 سنة، جامعي)، على استعمال الفيسبوك لفترات طويلة وفي كل الأوقات حتى أصبحت أتواصل مع الأصدقاء في الفضاء الافتراضي لفترات أكثر مما أتواصل مع الأسرة على أرض الواقع، نظرا للواقع الاجتماعي الذي يعيشه الطالب الجامعي والمتسم بالاغتراب والتمرد ومحاولة الانسلاخ الدائم عن علاقة الطالب الجامعي بوالديه، ما أكدته هذه المقابلة والمشاكل البيداغوجية التي تعترض الطالب الجامعي الذي يقضي معظم أوقاته في استعمال الفيسبوك لمدة زمنية غير مقبولة على حساب الدراسة والأعمال الجامعية الموكل إليه، معتقدا أن المستوى الثقافي للوالدين يخضع للقيم التقليدية خاصة المجتمع الغليزاني الذي يعتبر مجتمع محافظ ومتشبع بالقيم التقليدية في عاداته وتقاليده، حتى إذا كان المستوى التعليمي للوالدين عال فإن الطالب الجامعي يحاول دائما إبراز معرفته وتفوقه العلمي أمام والديه، نظرا للمحتوى الإعلامي المتنوع والذي يتناوله عبر منصات التواصل الاجتماعي والمخالف في كثير من الأحيان للقيم الاجتماعية التقليدية، "إن العلاقة بين المنظومة الإعلامية ومنظومة القيم الأخلاقية والاجتماعية علاقة متداخلة على اعتبار أن وسائل الإعلام هي الوسائل الناقلة لأنماط التفكير والمعرفة، والقيم والإفهام، وبالتالي تساهم في خلق الثقافة الاجتماعية، وما يعطيها أحقيتها كسلطة إعلامية في إدارة وتوجيه المجتمع"، باعتبار أن المجتمعات الافتراضية تنشأ كبديل لمجموعة من الضغوطات النفسية والاجتماعية للواقع الاجتماعي الحقيقي، كما عرفها هاوارد راينجولد "إنها تجمعات اجتماعية تنشأ من الشبكة، حين يستمر أناس بعدد كاف في مناقشتهم علنيا لوقت كاف من الزمن بمشاعر إنسانية كافية لتشكيل شبكات من العلاقات الشخصية في الفضاء السيبري" (عمر، 2000، صفحة 54)

7- نحو إعادة إنتاج الهوية الافتراضية :

إن المجتمعات الافتراضية هي بمثابة النسخة الالكترونية للمجتمعات الطبيعية، باعتبار أنها تعتمد على التنظيم الاجتماعي التصاعدي أي من الأعلى إلى الأسفل، أي أن كل فرد بإمكانه صناعة محيط اجتماعي خاص به حسب الرغبات والنزوات وحسب عاداته وتقاليده، بالرغم من إمكانية عدم التجانس للفئات التي تنسج علاقات افتراضية ضمن شبكات التواصل الاجتماعي سواء من حيث السن أو الجنس أو الوطن أو الدين أو اللغة أو المستوى المهني أو التعليمي أو الثقافي، حتى صار الفرد الذي يستعمل الفيسبوك يحس بنوع من الراحة والهدوء في التعبير عن آرائه كما أكدته أحد أفراد العينة في المقابلة رقم 5 من جنس (أنثى، 25 سنة، جامعية)، على أنها تحس بنوع من الألفة والانتماء الاجتماعي وتشعر بحرية تامة في التعبير بكل صراحة وطلاقة " اختلاط الرقم

بالحرف أي أننا نعيش اليوم في ظل العولمة مع الحرف في تفاعل مع أجهزة الإعلام والكومبيوتر (البدراني، 2011) والدليل على ذلك هو طبيعة هذه الشبكات التي لا تفصح عن حقيقة وهوية المشتركين فيها عبر أسماء وأوطان ولغات كلها مستعارة وغير مطابقة للواقع الاجتماعي الحقيقي، هذه الخصائص كلها منحت صفة العالمية والكونية لهذه الشبكات الافتراضية، على العكس تماما مما تتسم به المجتمعات الواقعية من خلال استغلال المجال الحضري، أو التمازج الفاعل والواقعي وجها لوجه إلى غير ذلك من خصائص المجتمعات التقليدية، (schoumaker, 2002, p. 85)، إلا أنه في المجتمعات الافتراضية يبرز تقمص الهويات على حسب الأهواء والظروف التي تناسب كل الوضعيات، "تأسيس علاقة الفرد داخل المجتمع الافتراضي عصبيا وهي تتلاقى مع طرح ابن خلدون في كونها القوة القادرة على الحفاظ على الترابط، والمحرك للمجتمعات الإنسانية" (ملحم، 2017).

8- الأسرة والعائلة الافتراضية :

تعد الأسرة من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية حيث تلعب دورا محوريا في نقل وتلقين مختلف القيم والعادات الاجتماعية للأفراد، أو ما يعرف بعملية التنشئة الأسرية، هذه الأخيرة تسودها مجموعة من العوائق والحواجز الاجتماعية التي تعترضها، وتحول دون تشكيل مختلف القيم الاجتماعية للأسرة والعائلة، خاصة في ظل التطورات التكنولوجية الحديثة والمتسارعة، كبروز المجتمعات الافتراضية، و الذي يحتوي على علاقات وتفاعلات اجتماعية تنتشر وتتسع بسرعة البرق عبر الفضاء السيبراني، باعتبار أن مختلف التفاعلات الافتراضية يغلب عليها طابع الصداقات والدراسة الحرة الغير مقيدة، على العكس بما يحدث ضمن العالم الواقعي، من تفاعلات أسرية يغلب عليها طابع الرقابة الاجتماعية من الوالدين وكل أعضاء أفراد الأسرة وحتى الأقارب والجيران، ما أكدته أحد أفراد العينة في المقابلة رقم 6 من جنس (ذكر، 25 سنة، جامعي)، على أن الشعور بالفراغ العاطفي والاجتماعي في المجتمعات الواقعية يجعلني ألجأ إلى الفضاء الافتراضي من أجل ملئ هذا الفراغ، باعتبار أن هذا الأخير أصبح يلبي كل الطلبات سواء كانت اجتماعية أو عاطفية وحتى ثقافية من خلال الضغط على الزر في أي لحظة، وهجرة الواقع الاجتماعي والهروب إلى عالم افتراضي، كما أكدته المبحوث أنني أسعى بصفة مستمرة إلى البقاء على مواقع التواصل الافتراضي من أجل نسيان واقعي الاجتماعي الذي أرى فيه الكثير من التناقضات الاجتماعية والثقافية التي تجعلني دائم النفور والافتراق من هذا المجتمع ولمح أيضا إلى عدم وجود فضاءات في الواقع الغيليزاني داخل الجامعة وخارجها تساعدني على ملئ هذا الفراغ الاجتماعي

والعاطفي، مما يجعلني أفكر باستمرار في الهجرة من هذه المنطقة أو الحرقة إلى الضفة الأخرى التي سبق له وأن تعرف عليها من خلال مختلف اللقاءات الافتراضية مع الأصدقاء والصدقات عبر الفضاء الافتراضي، مما يقود الفرد داخل المجتمع إلى العنف بمختلف أشكاله خاصة بعد إحساس الفرد بنوع من التهمان الاجتماعي والعاطفي (bodini, 1999)، " ومن أهم خصائص المجتمعات الافتراضية زوال البناء الطبقي والفيزيقي، وانحيار البناء السكاني ليس على أساس الجنس والقومية أو الدين أو العمر بل على أساس رقمي، وكذا تتداخل البناء المهني، بمعنى أن كل هؤلاء ليسوا سوى أرقاماً تشارك الفرد حياته في المجتمعات الافتراضية "، (ملحم، 2017، صفحة 17)، لذا صار من الممكن للفرد أن يختار أسرته ضمن الفضاء الافتراضي دون التقيد بالسن أو الوطن أو الجنس إلخ...، هذه هي الثقافة السيبرية التي تحدد معالمها افتراضيا عبر فضاء افتراضي يكون موازيا إلى حد كبير ومن النقيض للعالم الواقعي، بمعنى أن كل الاحتياجات النفسية والاجتماعية في المجتمعات الواقعية يتم توفيرها عبر هذا الفضاء الافتراضي .

9- العنف الافتراضي وتداعياته على التنشئة الأسرية

إن المجتمعات الافتراضية كرسست مبدأ عدم المقاطعة بين مختلف المجتمعات سواء من حيث الأجناس، الأعراق، أو الدين أو اللغة .. إلخ، إلا أنها أنتجت جامعات أو تكتلات ذات طابع تكنولوجي ورقمي بامتياز، تتجلى خلالها مختلف مظاهر الانحراف والعنف دون أدنى أدوات الرقابة سواء القانونية أو الأسرية أو الاجتماعية، وتتعدد عملية الاتصال ضمن الفضاء الافتراضي باعتبار أن التواصل يكون مع أصدقاء الواقع وآخرون تجهل هويتهم وجنسياتهم ودينهم وثقافتهم وحتى لغتهم، لأن لغة شبكات التواصل الاجتماعي باتت من أسهل اللغات لجميع أطراف وشرائع المجتمع، نظرا لما تقدمه من خدمة من حيث الترجمة أو التفاعل الاجتماعي بصفة عامة ، هذا ما أكدته معظم المقابلات من خلال تقييم العلاقات الأسرية قبل وجود الفايسبوك وبعده مثل المقابلة رقم 6 من جنس (ذكر، 25 سنة، جامعي)، أكد أحد أفراد العينة على أنه قبل استعماله للفيسبوك كان كل الوقت مسخر للأسرة والأهل فقط، أما اليوم فالعكس أصبحت أجهل أبسط التفاصيل عن أسرتي وعائلتي ويزيد ابتعادي عنهم يوما بعد يوم، " إنه بوجود وسائل الإعلام والاتصال المختلفة، لم يعد التفاعل على أرض واحدة هو الباعث الأول للتجمع، بل أصبح التفاعل يتم عبر تكنولوجيا وسائط المعلومات والإعلام متخطيا الحدود الجغرافية وعابرا الحدود الوطنية، بما للإعلام الالكتروني الأثر الفعال على هويات الجماعة وذلك عن طريق التقليل من أثر العلاقة القائمة ما بين المكان والحيز الفيزيائي وطرق الوصول إلى المعلومات " (الطراح، 2002، صفحة 139) . مما

يساهم بشكل كبير في التقليل من المساندة الاجتماعية أو التضامن الاجتماعي، فتصبح المشاعر والعواطف الإنسانية عبارة عن تفاعل الكتروني تغلب عليه طابع الصورة والتعليقات، " كما يشير فريدريك فروم " على أن الإنسان يحول العالم الذي حوله، فإنه يحول نفسه في عمليات التاريخ، إنه مخلوق نفسه، إن جاز التعبير، كما أنه لا يستطيع أن يحول ويعدل المواد الطبيعية إلا وفقا لطبيعتها، فإنه لا يستطيع أن يحول ويعدل نفسه إلا وفقا لطبيعته "، (ملحم، 2017، صفحة 17)، مما يزيد من تعقيد عملية التفاعل الاجتماعي الحقيقي للعلاقات الاجتماعية الافتراضية والتي يتولد عنها مجموعة من الظواهر السلبية كالعزلة والاكنتاب والوحدة، وغياب الرقابة الأسرية كما أكدته إحدى عناصر العينة في المقابلة رقم 3 من جنس (أنثى، 25 سنة، جامعية)، خلال سؤال عن تصرفها بكل حرية وعدم وجود رقابة داخل الأسرة من طرف الأب أو الأم، حيث صرحت لدي الحرية المطلقة في الدخول والخروج من البيت في أي وقت حتى، وأسرتي لا تكثر بنوعية الأصدقاء عبر الفضاء الافتراضي، مما يجعلني أتواصل مع من أرغب في التواصل معه، خاصة عند غياب التواصل الأسري سواء مع الأب أو الأم أو الإخوة والأخوات، حتما سيؤدي بالفرد في البحث عن البدائل التواصلية الأخرى التي لا تكون نتائجها محسومة مسبقا، (mayence, p. 94) " إن أول شيء من متطلبات الحفاظ على الذاتية الثقافية للمجتمع والأمة وأجيالها الحالية والقادمة، يكون بامتلاك الأمة لرؤية قومية موحدة تجعل الثقافة العربية قادرة على تسويق الفهم والعقل الثقافي على هذا النحو "، (سمرة، 2015، صفحة 12)

10 - الفضاء الافتراضي عاكس للواقع أم للبؤس الاجتماعي :

يعتبر الكثير من مستعملي شبكات التواصل الاجتماعي أن الاستهلاك المفرط للفيسبوك يعتبر كاف للتواصل الايجابي وفرصة من أجل تبادل الآراء والمواقف بين مستخدميه من خلال عملية التفاعل الاجتماعي الافتراضي، إلا أن الواقع الاجتماعي لهذا الفضاء الأزرق يوحى إلى العكس من ذلك تماما بحيث يسوق هذا الفضاء إلى ظروف لا تتلاءم والواقع الاجتماعي المعاش يوميا للطلاب الجامعي ولأسرته، من خلال تسويق ما يعرف بالوهم الاجتماعي الذي يقود إلى البؤس الاجتماعي عبر هذا الفضاء، والقضاء على الواقع الفكري والمعرفي للحياة الاجتماعية التقليدية والحديثة، ما أكدته المقابلة رقم 05 من جنس (أنثى، 25 سنة، جامعية)، أنها تعمل باستمرار على تغيير الواجهة (profil) في الفيسبوك وبأسماء مستعارة وبصور غير حقيقية، من أجل طمس وإخفاء الهوية الحقيقية وكذا توسيع دائرة الأصدقاء والصدقات سواء من داخل الفضاء الجامعي بغليزان أو خارجه من أجل فرض الوجود وتأكيد الذات افتراضيا، والانتقام في الكثير من الأحيان

من الواقع الاجتماعي المادي والمعنوي الذي يكرس الضغط الاجتماعي و الهيمنة الذكورية على الأنثى، هذا ما يجعل الفرد يعيش تناقضا اجتماعيا فرضته وسائل التواصل الاجتماعي بين الحقيقة والخيال، بين العالم المادي والواقع الاجتماعي وعالم آخر غامض ضمنيا رغم شفافية محتوياته، ما يؤدي إلى نوع من الانفصام في شخصية الفرد النفسية والاجتماعية واللجوء إلى العنف والانحراف وذوبان القيم والأخلاق في العالم الافتراضي مجهول الهوية، " إن الوضع الذي نحن عليه اليوم يقوم على إعادة الاعتبار للآخر، الذي يظل موجودا حتى في حالة فقدان الذات التي يجب أن تدركه، وهي عملية تتطلب منا المغامرة بانتظار إرجاع الصدى وبدون تفضيل العلاقة مع الآخر تظل العملية الاتصالية ناقصة "، (آخرون ب..، 2012، صفحة 50) ، مما يوسع الفجوة بين الفاعلين الاجتماعيين داخل الأسرة وخارجها ويحدث خللا واضحا في عملية التنشئة الأسرية والعلاقات الاجتماعية، وعدم القدرة على التحكم الجيد في الضوابط الاجتماعية من خلال ضعف عملية الضبط الاجتماعي، حتى أصبح الطالب الجامعي اليوم يسعى بكل ما أوتي من جهد إلى توفير مصاريف شراء أحدث الهواتف الذكية والعمل على توفير التعبئة باستمرار من أجل التواصل المستمر افتراضيا الذي يجعله في أريحية نفسية واجتماعية على العكس من الفضاء الاجتماعي الحقيقي وحتى من ناحية الاهتمام بمجال التكنولوجيا الحديثة من خلال توفير مبالغ مالية من خلال العمل خارج أوقات الدراسة أو حتى في أوقات الدراسة، خاصة لدى فئة الإناث اللاتي يفضلن على الجانب الصحي والعلمي .

11- نتائج الدراسة :

- استحداث فضاء افتراضيا موازيا للفضاء الحقيقي .
- التأثير على النسيج الاجتماعي التقليدي .
- تأثرت الأسرة بشكل كبير من الاستعمال المفرط للمنصات التواصلية .
- نسج العلاقات الاجتماعية الافتراضية خاصة بين فئة الشباب عامة والطلبة الجامعيين على حساب العلاقات الواقعية
- عدم تجانس أفراد هذا الفضاء الافتراضي سواء من حيث اللغة أو الدين أو القيم ومختلف المعايير الاجتماعية.
- بروز مجتمعات افتراضية يسودها الفوضى والعنف نظرا ل

**** - خاتمة :**

إن توسع مجال استخدام التكنولوجيات الحديثة بمختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية، وفر خدمات عالية الجودة للمجتمعات الحقيقية من الناحية الإدارية والخدماتية، وكون في نفس الوقت جماعات وتجمعات تتفاعل في بيئة إلكترونية افتراضية يشترك مستعملوها في الكثير من الاهتمامات والأنشطة الاجتماعية المشتركة، أنتجت فضاء افتراضيا موازيا للفضاء الحقيقي، أثر على النسيج الاجتماعي التقليدي، ونخص بالذكر هنا الأسرة التي تأثرت بشكل كبير من الاستعمال المفرط لأفرادها لهذه الوسائل كالفيديو الذي أصبح من أهم المنصات التواصلية في نسج العلاقات الاجتماعية الافتراضية خاصة بين فئة الشباب عامة والطلبة الجامعيين خاصة، مما غير الكثير من القيم والسلوكيات داخل الأسرة الغيليزانية وخارجها على الفضاء الواقعي، وأثر في عملية التنشئة الأسرية والعلاقات الأسرية والاجتماعية، من خلال توفير قنوات جديدة لتكوين روابط ونسج علاقات اجتماعية نافست في مضمونها العلاقات الاجتماعية التقليدية، وأنتجت مجتمعات افتراضية يسودها الفوضى والعنف نظرا لعدم تجانس أفراد هذا الفضاء الافتراضي سواء من حيث اللغة أو الدين أو القيم ومختلف المعايير الاجتماعية، بالإضافة إلى النقص الفادح في العمليات التوعوية والتحسيسية داخل مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالمدارس والثانويات والجامعات وحتى داخل المساجد من خلال تدعيم المناهج والبرامج التربوية والدينية .

دليل المقابلة :

1- فصل الأسرة :

- كيف تقيم معاملة الوالدين معك داخل الأسرة (الأب، الأم، الاخوة، الأخوات)، من حيث الحوار - اللاحوار- الحرية - اللامبالاة - العنف .
- هل أسرتك توفر لك الظروف المادية كالمصروف اليومي من أجل الدراسة أو إقتناء مستلزمات خاصة (سيارة - دراجة - هواتف ذكية - رحلات .. إلخ).
- كيف تقيم مواقيت الدخول والخروج من البيت من حيث :
(الحرية - المراقبة الأسرية - التضيق من طرف الأسرة).

2- التواصل الاجتماعي :

- ما هي أهم المواقف التي تستعمل فيها الفيسبوك، وهل الوقت الذي تقضيه في التحدث مع الأصدقاء أكثر من الوقت الذي تقضيه مع الأسرة، وهل الأسرة تنزعج من الاستعمال المفرط للهاتف داخل البيت ؟

- هل تحس بالألفة والانتماء الاجتماعي مع الأصدقاء الفيسبوكيين أكثر من الأسرة، الأهل والأقارب، وهل تشعر بأن العلاقات التي كونتها عن طريق الفيسبوك تعادل في حميميتها العلاقات المباشرة وجها لوجه .

- ألا ترى أن علاقاتك الفيسبوكية تسمح لك بالتكلم بكل راحة وجراءة والتعبير عن مختلف المواضيع بكل طلاقة وحرية، وهل شعورك بالفراغ الاجتماعي والعاطفي يجعلك تلجأ إلى الفيسبوك من أجل ملئ هذا الفراغ .

3- العنف :

- كيف يتم معالجة الأخطاء والهفوات التي تقوم بها من طرف والديك (الأب، الأم) وما هي الأخطاء التي ترى أن الوالدين لا يتسامحون فيها معك، وكيف هي طريقتهم في معاقبتك أو معاقبتك .

- ألا تشعر أن نشاطاتك الأسرية والاجتماعية في مختلف المناسبات العائلية تراجعت منذ بدأت تستخدم الفيسبوك، الإحساس (بالعزلة، الانطواء على النفس، الهروب من الواقع) .

- ألا ترى أن ادمانك على الفيسبوك من حيث الوقت والعلاقات الافتراضية أثر سلبا على خاصة داخل الأسرة، أو مع الأصدقاء في معاملاتك الواقعية اليومية .

- كيف تقيم علاقاتك القديمة قبل ولوجك لعالم الفيسبوك، وعلاقاتك الجديدة الافتراضية، واقعية وافتراضية .

**- المصادر والمراجع :

- إبراهيم أحمد ملحم. (2017). *المجتمعات الافتراضية التكنولوجية ورقمنة الإنسان*. الاردن: عالم الكتب الحديث.
- بلقاسم سلاطنية وآخرون. (2012). *علم الاجتماع الاعلامي*. القاهرة، مصر: دار الفجر للنشر والتوزيع.
- رجاء مكي وسامي عجم. (2008). *إشكالية العنف، العنف المشروع والعنف المدان* (الإصدار ط 1). بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع.
- عامر مصباح. (2005). *الاقناع الاجتماعي، خلفية النظرية وآلياته النظرية*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون.

-
- عبد الرحمن العيسوي. (1997). *سيكولوجية الطفولة والمراهقة* (الإصدار ط1). لبنان: دار النهضة العربية.
 - عبد الرزاق محمد الديلي. (2011). *الاعلام الجديد والصحافة الالكترونية* (الإصدار ط 1). الأردن: دار وائل للنشر.
 - عبد الرضا الطعان. (1980). *مفهوم الثورة*. بغداد: دار المعرفة.
 - عبد الرؤوف الضبع. (2002). *علم الاجتماع العائلي*. الاسكندرية: دار وفاء لدنيا الطباعة والنشر.
 - علي خليل شقرة. (2014). *الاعلام الجديد شبكات التواصل الاجتماعي* (الإصدار ط1). الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.
 - غسان منير حمزة سنو وعلي أحمد الطراح. (2002). *الهويات الوطنية والمجتمع العالمي والاعلام* (الإصدار ط1). بيروت، لبنان: دار النهضة العربية.
 - فاضل محمد البدراني. (2011). *الاعلام صناعة العقول* (الإصدار ط1). بيروت: منتدى المعارف.
 - محمد أبو سمرة. (2015). *استراتيجيات الاعلام التربوي* (الإصدار طبعة منقحة). عمان، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.
 - مصباح عامر. (2011). *التنشئة الاجتماعية والانحراف الاجتماعي*. الجزائر: دار الكتاب الحديث.
 - مصطفى يوسف كافي. (2015). *وسائل الاعلام والطفل* (الإصدار ط1). عمان: دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع.
 - معن خليل عمر. (2000). *علم الاجتماع الأسرة*. الأردن: دار الشروق.
 - منى يونس بحري وآخرون. (2011). *العنف الأسري* (الإصدار ط1). عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.
 - وائل مبارك خضر فضل الله. (2011). *أثر الفايسبوك على المجتمع*. الخرطوم، السودان.
 - Bernadette merene schoumaker,(2002),Analyser les territoires , presse universitaires ,Rennes, France
 - Dominique Bodin(1999),Holiganisme vérité et mensonge ,Paris, France.
 - Serge Mayence,sociologie et action social, Fernand nathan ,Paris, France .